النظريات المفسرة لمنع زنا المحارم
" المبررات البيولوجية ، النفسية ، و السوسيولوجية "

أ. شريفة مودود
جامعة الجزائر 2

ملخص الدراسة باللغة العربية : يختلف زنا المحارم في مفهومه من مجتمع لآخر، حسب نوع العلاقات القرابية المعترف بها، وقد تعرض هذا السلوك عموما –رغم بعض الاستثناءات– إلى المنع والتحريم من الشعوب المختلفة ، وفسر هذا المنع بأسباب كثيرة منها : البيولوجية، النفسية، والاجتماعية والثقافية وكل هذه التفسيرات تلتقي في نقطة واحدة هي أن منع معاشرة المحارم ظاهرة عالمية رغم كل الخروقات والانتهاكات التي تخدش هذا المنع في كل زمان ومكان .

Abstract: Each society defines incest differently from other societies, people ,all over the world have forbidden incest − with some exceptions− referring to biological,psychological,social and cultural reasons .

Although, the violations that exist every when and where people do agree on the point that prohibition intercourse between relatives is international phenomena.

الكلمات الدالة : زنا المحارم ، المحظور (الممنوع ،الطابو) ، النظريات المفسرة ،المبررات البيولوجية ، المبررات النفسية ،المبررات السوسيولوجية .

تمهيد :زنا المحارم أو سفاح القربى مصطلح يحيل إلى ارتباطات متعددة على المستوى اللغوي البيولوجي والديني والنفسي والثقافي ،ولايمكن الاقتراب من فهم واضح لتواجد هذا المفهوم في تدرجات مستويات التطور والتنوع الإنساني إلا إذا أخذت بعين الاعتبار هذه التوسعات لهذا المفهوم ، فالزنا كما عرفه ابن رشد بأنه:"كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ،ولاشبهة نكاح ولا ملك يمين" [1]، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[2]، وقوله تعالى :﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾[3]، وقد اقترن لفظ الزنا في القرآن الكريم بالفاحشة ولو أن هذه الأخيرة أعم من الأول والزنا متضمن في الفاحشة، لكن الله عز وجل عبّر عن الزنا لخطورته بلفظ فاحشة في قوله:﴿ ...واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم...﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ ...فإذا أحصنّ فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب...﴾[5].

والمحارم في اللغة من الحُرْم والحِرْم والحرام وهو نقيض الحلال وجمعه حُرُم وقد حَرُم عليه الشيء حُرماً وحراما وحُرمَ حرمة وحرّمه الله عليه[6]، وحُرَمُ الرجل: عياله ونساؤه وما يحمي وهي المحارم، واحدها محرَمة ومحرُمة ورحم، والمَحْرَم: هي المحّرم تزويجها، والمحرَم : ذات الرحم في القرابة أي لا يحل تزويجها، تقول: هو ذو رَحِمٍ مَحْرَمٍ، وهي ذات رَحِمٍ مَحْرَمٍ، يقال ذات رحم منه إذا لم يحلّ له نكاحها، وفي الحديث:" لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم منها"، وذو المَحْرَم : من لا يحل له نكاحها من الأقارب كالأب والابن والعم ومن يجري مجراهم[7]، وجاء لفظ الحرام والمحرم والأرحام في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿...وهو محرم عليكم...﴾[8] وكذلك قوله تعالى :﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله....﴾[9] .

فالمحارم إذن مفهوم يشير إلى الأفراد الذين يمنع في أي ظرف من الظروف الزواج بينهم أو ربط علاقات جنسية مع بعضهم البعض، لكونهم مرتبطين في أسرة واحدة برابطة دم أو مصاهرة، وتشمل الأصول : الأب والأم وما ارتفع، والفروع الابن وما انخفض، والحواشي أو الأقارب المؤقتون المرتبطون برابطة المصاهرة، مثل: زوج الأخت، زوج الأم وغيرهما، كما تضيف بعض التشريعات الدينية والقانونية رابط الرضاع والتبني والكفالة .

ويمكن التعبير عن زنا المحارم:(Inceste) بعدة مصطلحات مثل: جماع المحارم، زنا الأقارب ، ارتكاب المحارم، الفاحشة بين ذوي القربى، معاشرة الأقارب أو المحارم ، سفاح القربى، وهي كلها تحمل دلالة واحدة، وهي في اللغة الإنجليزية (Incest) والألمانية (Inzest) والإسبانية (Incesto) والإيطالية (Incesto) والكلمة ذات أصل لاتيني، وكلمة (Incestum) في اللاتينية الكلاسيكية تعني تدنيس، انتهاك الحرمات(Sacrilège) وكلمة (Incestus) تعني مدنس (Impur) تتكون من (In)، و(Cestus) وتعني فاضل وطاهر(Vertueux, Chaste) [10].

وفي الاصطلاح هو "علاقة جنسية ممنوعة اجتماعيا بسبب رابطة قرابة موجودة بين فردين من جنس مختلف"[11]، ويشوب دراسة معاشرة المحارم غالبا شيء من مركزية إثنية تفترض أن العلاقات الجنسية بين الأقارب الأقربين (الأم والابن مثلا) هو أمر محرم تحريما قاطعا، وليس الأمر كذلك[12]، هذا ما يجعل هناك صعوبة في ضبط المعنى الحقيقي للزنا بين المحارم، لأن الأقرباء والروابط تتعلق بالتغيرات الكبرى للمجتمعات والأزمنة والظروف، وهكذا فإن محظورات معاشرة المحارم موجودة في الحد القائم بين الطبيعة والثقافة، وفي أصل الحياة الاجتماعية[13] ، وتتعدد أنماط العلاقات القرابية التي يحرم الارتباط بها جنسيا، وتنقسم إلى عدة أقسام، فالمحرم قد يكون مقربا جدا كالأب والأم والأخ، ومنهم من يكون بعيدا مثل العم الخال والجد[14]، هذا ما يجعل الباحثين في الأنثروبولوجيا يفرقون بين الأقارب الخطيين (المباشرين) مثل: الأب والابن أو البنت، والأم والابن أو البنت، والأقارب الجانبيين (غير المباشرين) مثل أبناء العم، أبناء الأخ، وبنات الأخ[15]. وبهذا اختلفت عبر العصور نظرة وتحديد الأقارب المحرمين باختلاف المجتمعات.منع الزنا بين بعض الأشخاص المصطلح عليهم بالمحارم راجع للارتباط معهم بروابط قرابة معينة، حددها كلود ليفي ستروس (Claude Levi-Strauss)في ثلاثة أنماط هي : رابطة الدم (Relation De Consanguinité) ورابطة المصاهرة (Relation D’Alliance) ورابطة النسل (Relation De Filiation) وهذه الروابط حسب ليفي ستروس حاضرة دائما وموجودة لكن الكلمات التي تعبر عنها تختلف وتتعدد في وظائفها[16] .

أما المفهوم الذي يمكن تقديمه في هذا السياق فيشمل توسع النظرة إلى العلاقات المحرمية بشكل عام في كل أشكالها وأنماطها وبالتالي فزنا المحارم هو: كل علاقة جنسية تامة أو غير تامة، أو تحرش جنسي أو هتك عرض بين فردين تربطهما رابطة قرابة تحرم اتصالهما الجنسي في أي حال من الأحوال، سواء كان هذان الفردان راشدين أو قاصرين أو أحدهما راشدا والآخر قاصرا، أو كانا من جنسين مختلفين أو من نفس الجنس ، وسواء كانت العلاقة بالرضا أو بعدمه، أو بأي طريقة أخرى، وسواء كان الاتصال الجنسي بالطريقة الطبيعية(اتصال جنسي في القبل) أو بطرق شاذة غير طبيعية(اتصال جنسي في الدبر،استعمال الأصبع أو أحد أعضاء الجسم،استخدام وسائل حادة).وهي ظاهرة موجودة منذ القدم مرتبطة بالزواج الداخلي ، ففي دراسة نانسي ثورنيل N.THORNHILL لمجموعة من المجتمعات البدائية التي يقدر عددها ب186 مجموعة وصلت إلى أن 126 منها لديها طقوس وعادات زواج واضحة أمكنها أن تلاحظ من خلالها أن 56% من هذه المجتمعات لاتوجد بها قواعد واضحة تحظر زنا المحارم [17]،كما أن الدراسات الأنثربولوجية والسوسيولوجية أقرت بأن المجتمعات البدائية كانت مشاعية من الناحية الجنسية ،وهذا الاختلاط البدائي يبسطه الأنثربولوجيون في فرضية بسيطة وهي أنه يمكن اعتباره ظاهرة طبيعية محدودة بظروف الحياة [18] ،كما يظهر أن معاشرة المحارم تراوحت بين الإباحة والمنع، مع اختلاف في أنماطها ودرجاتها، وأسبابها من مجتمع لآخر، ولهذا يصعب تفسير أصل المنع في معاشرة المحارم لأن الأمر متغير وغير ثابت، ويتعلق بسلوك يصعب قياسه لأنه كما يقول ريفرز(RIVERS): "...ما من حالات فكرية أصعب استبطانا من المشاعر والأحاسيس، دون التحدث عن الغرائز..."[19]، هذه الغرائز ومنها الغريزة الجنسية التي تختلف

متغيراتها وحدودها ،وبما أن هذه الظاهرة متقاطعة مع الظاهرة القرابية والنظام العائلي فإنه يحق القول أن "حظر زنا المحارم يقع في قلب سؤال الوجود"[20] .ومن نافلة القول أنه لايمكن قبول وجود تفسير مثالي لحظر زنا المحارم ،لكن كل الجدل حول زنا المحارم هو من أجل إيجاد تفسير علمي للمنع،وهذا التفسير يجب أن يبحث في الظروف الموجودة في الجماعات الإنسانية ،الظروف التي تشرح انتقالها من الطبيعة إلى الثقافة ،"من ماقبل الاجتماعي إلى الاجتماعي du pré-social au social"[21] أي أن الأنثربولوجيا الثقافية تثبت في دراساتها أن لا ممنوع بدأ ممنوعا وإنما تحول مع احتياجات الاجتماع إلى ممنوع ،وعلى هذا فإن (طابو) المحارم يخضع لقوانين الاجتماع أو لعوامل أخرى جعلته ممنوعا ويقترب من الاتفاق العالمي على ممنوعيته ،ومن أجل تفسير ظاهرة منع وحظر معاشرة المحارم هناك العديد من الاقتراحات والاتجاهات قسمتها سيمونا آرجونيتري(S. ARGENTIERI) إلى ثلاثة أنواع من النظريات هي:[22]

1- النظريات البيولوجية (Théories Biologique)

2- النظريات البيو-نفسية (Théories Bio-psychologique)

3- النظريات السوسيو-أنثربولوجية (Théories Socio-Anthropologique)

أما في هذا العرض فصنفت النظريات المفسرة لمنع زنا المحارم ضمن ثلاثة اتجاهات وهي: النظريات البيولوجية، النظريات البيو-سوسيو-نفسية، والنظريات السوسيو-أنثربولوجية .

أولا :النظريات البيولوجية : يفسر الاتجاه البيولوجي منع زنا المحارم في المجتمعات الإنسانية بالاستناد لأضرار بيولوجية وراثية ،وهذه المحظورات تعمل على منع التوالد الداخلي، الذي يمكن أن يكون سببا في إحداث تشويه عقلي وبدني للمجتمعات عبر الزمن ،وهذا التوالد ينتج من زواج الأقارب الذي "هو مصطلح لوصف الاتحاد بين الأزواج المعروف تشاركهما على الأقل في جد واحد "[23]،ويفسر انتقال الصفات الوراثية بالتطابق في الجينات بين الوالدين ،حيث أن الجينات الوظيفية عادة توفر تسلسل المعلومات اللازمة لبناء واحد من عشرات الآلاف من البروتينات المختلفة اللازمة لبنية ،تطور،صحة،ونشاط الكائن الحي ،الجينات المتوافقة في نفس المكان يمكن أن تكون متطابقة في تسلسل الحمض النووي ADN أو أنها يمكن أن تكون لها أشكال مختلفة ،وتسمى هذه الأشكال البديلة من نفس الجين :الأليلات (Alleles) ،وعندما تكون الأليلات الموروثة من سلالة الأم والأب هي نفسها تسمى :متماثلة ،وعندما تختلف تسمى :متخالفة ،في حالة الأليلات المتخالفة فالأليل الذي يتم التعبير به عن النمط الظاهري يمثل الصفات المهيمنة ،والأليل الذي يعبر عن النمط المختفي تمثل الصفات المتنحية ،والأليلات إذا كانت متطابقة يمكن أن تسبب الموت[24] . وتعود جذور العلاقة بين زواج الأقارب والعيوب البيولوجية إلى ماقبل منتصف القرن 19،أين كانت الزيجات بين الأقارب من الدرجة الأولى عادة تعاقدت عليها العديد من المجتمعات الغربية ،ومنذ 1850 بدأت مناقشات متضاربة في الأوساط العلمية والطبيعية من أمريكا الشمالية وأوربا الغربية عن مدى التأثيرات البيولوجية لزواج الأقارب[25] ، لكن هذا الاتجاه تراوح بين القبول تارة والرفض تارة لمبرراته البيولوجية حسب نتائج تطور الأبحاث في علم الأحياء والوراثة ،ويستشهد بعض الرافضين لهذا الاتجاه بعالم الحيوانات ،حيث لم يثبت حسب روبرت بريفولت R.BRUFAULT بأن الارتباط بين الحيوانات الأليفة لم يترك أي آثار سيئة [26]،كما أن ليزلي وايت L.WHITE قرر عام 1949 بأن زواج الأقارب ليس هو المسؤول عن ترك صفات بيولوجية سيئة ،وإنما يعمل على تكثيف وراثة الصفات سواء كانت جيدة أو سيئة ،فإذا كان الأصل فيه حماقة يمكن أن يرث الفرع حماقته ،واستدل على ذلك بالزواج بين الأخت وشقيقها في العائلات الملكية مثل زواج كليوباترا وإخوتها الذي خلف نسلا يتمتع بالوفرة ،الجمال،القوة والذكاء [27]،فوايت لايجعل زواج الأقارب

عاملا هاما في وراثة عيوب بيولوجية وبالتالي فمنع زنا المحارم لايمكن قبول إسناده لأسباب بيولوجية ،وساند ليفي ستروس C.LEVI-STRAUSS هذا الطرح سنة بعد وايت ،حيث استنتج أن البشرية منذ بدايتها كانت تعتمد الزواج الداخلي و لم تسجل أي آثار بيولوجية سيئة (28)،و يمكن الاستشهاد على هذا التعارض بين الاتجاهين بالواقعة التي سجلها الكاتب الأمريكي مارك توينM. TWAIN (1835-1910) ،حيث أنه في سنة 1878وهو يبحر في نهر الراين إلى مدينة DILSBERG أخبره القبطان أن كل سكان المدينة البالغ عددهم 700فردا لديهم علاقة قرابة "blood-kin"وهذا لتزاوجهم داخليا منذ 1500سنة ،وأن كلهم بلهاء ،ولم يصدقه تواين لأنه لم يرى أي أبله ،وقد أخبره أن الحكومة تتخلص منهم بأخذهم لأماكن خاصة ،لكن تواين لم يصدقه لأن العلم الحديث آنذك أنكر أن الزواج الداخلي يخرب العلاقات في المجتمع (29)،فتواين كان في مرحلة زمنية تثبت عدم تأثير العوامل البيولوجية في التوالد .والنظريات البيولوجية كاتجاه ظهر في بداية القرن الماضي على يد كل من هوبهاوس (HOBHOUSE) ، ويلر (WHEELER)، غنزبرغ (GINSBERG) عام 1915 ولوي(LOWIE)عام 1920(30) ، وباخوفن من قبلهم والذي اشتهر بكتابه "حق الأم" الذي صدر عام 1861 ، وقسم فيه التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية إلى ثلاث مراحل من الصراع الجنسي وهي: مرحلة الفوضى (الإباحية) مرحلة سلطة الأم الروحية ، هذا التحول الذي ارتبط بنظام ديني فعل الانتساب إلى خط الأم (31)، وبهذا قلت المشاعية الجنسية بسبب معرفة نظام القرابة والحفاظ على النقاوة الدموية وبعد هذه المرحلة جاءت مرحلة سلطة الأب الفكرية ،كما يعد واسترمارك من بين المساندين السباقين للعامل البيولوجي وآثار زواج الأقارب على النسل منذ سنة 1890 ،وأول دراسة منظمة في الآثار البيولوجية لزواج الأقارب هي لصامويل باميس BEMISS التي جمعت تقارير الزملاء من الأطباء عن نتائج زواجات تتراوح بين زنا المحارم وزواج الأقارب من الدرجة الثالثة (32)،وبات واضحا أن النتائج البيولوجية لزواج الأقارب واضحة بما فيه الكفاية في الحيوانات وهي واضحة عند الطيور ،فإذا تزاوج الطير الذكر مع أخته تموت ذريتهما بسرعة غلى حد ما لعدة أجيال ،هذا يحدث لأن بعض الجينات الضارة المحتملة هي المتنحية لكنها أصبحت ضارة لأنها اقترنت مع جينات مماثلة لها (33)،وهذا التغيير في النظرة البيولوجية حدث في النص الثاني من القرن 20 حيث ظهر زواج الأقارب ضار رغم رفض وايت وليفي ستروس وأيبيري وزملاؤه في سنة 1956،لكن ثبوت ضرره ظهر سنة 1963(34)،وتبع هذا التغيير تغيير آخر هو اكتشاف أن معظم الثدييات وجميع القرود تنشأ فيها جماعات مبكرة يمنع فيها الانجذاب الجنسي ،فثبت أن واسترمارك كان على حق(35) .

وهناك من يضيف إلى هذا الاتجاه كل من مين MAINE ومورغان MORGAN (36) ،وهذا الأخير قام بتقديم لائحة بالمصطلحات المستخدمة كدلالة على القرابة لدى أكثر من (140) شعبا أو قبيلة في أماكن مختلفة ، وقد وضع منظومة التسميات إلى فئتين أساسيتين "النسق الوصفي" والنسق التصنيفي"، ووجد أنهما يختلفان(37). ويتحدث مورغان في كتابه المجتمع القديم عن نسق "هاواي" في هذا النسق جميع أقارب الرحم قريبين أو بعيدين ينقسمون إلى خمس فئات: "إخوتي وأخواتي الأول منهم والثاني والثالث...الخ، وأبناء العم والخال يشكلون الفئة الأولى وأنا أستخدم كلمة واحدة للدلالة على أي منهم...الى آخره من الفئات، وبعد هذا التصنيف وجد أنه لا يوجد في جزر هاواي سوى (15)مصطلحا للقرابة طبعا إذا استثنينا القرابة الناتجة عن الزواج وفي أغلب تلك المصطلحات يصنف أخ الأب مع الأب، وأخت الأم مع الأم، ولكن في أغلب الحالات يتم التمييز بين أقارب الأب والأقارب من جهة الأم ثم يتم التمييز بين العم والخال وبين العمة والخالة وبين أبناء الأخ والأخت"(38)، هذا النسق هو الذي جعل مورغان يظن أن الزواج كان جماعيا، يشترك فيه جميع الإخوة والأخوات وأبناء وبنات العم والأخوال الذين هم من فئة واحدة ويطلق مورغان على العائلة الناتجة من هذا

التقليد اسم "عائلة قرابة الدم" وهي المرحلة الأولى للعائلة(39) ، والعائلة الناتجة تتشكل من تعدد الأزواج والزوجات ، وبعد ذلك كان لزاما ترك هذا النوع من العائلة إلى نوع آخر أكثر حفاظا على القرابة نقية وهي الزواج الخارجي، وعموما فمورغان، يرجع الاختلاف في منع معاشرة المحارم من مجتمع لآخر إلى المصطلحات المعبر بها عن هؤلاء الأقارب في كل مجتمع ،وبالعودة إلى مجتمع(نسق) هاواي فإن القرابة تتشكل وفق العلاقة بين الأخ وأخته وتكون حسب السن والترتيب في العائلة ،حيث أن هناك أربعة من التقسيمات في كل عائلة (الأخ الأكبر،الأخت الكبرى ،الأخ الأصغر ،الأخت الصغرى) ،وكل فرد من هؤلاء لديه مصطلح خاص به يناديه به إخوته الآخرين وهذا المصطلح يختلف بين الذكور والإناث(40) ،فالمصطلحات القرابية الناتجة عن العلاقات البيولوجية هي التي تحدد العلاقات المحظورة جنسيا في العائلة .

ثانيا: النظريات البيو –سوسيو–نفسية: في هذا الاتجاه يتم عرض تفسيرات كل من سيغموند فرويد(FREUD) ،واسترمارك (WASTERMARCK) ومالينوفسكي (MALINOWSKi).

1–تفسير فرويد في كتابه الطوطم والطابو: (Totem et Tabou)

أصدر فرويد كتابه الطوطم والطابو عام (1913)، ربط فيه بين مفهومين يصعب إيجاد معناهما بصفة مطلقة واضحة، وقد خصص فصله الأول لموضوع معاشرة المحارم وعلاقته بالطوطم في المجتمعات البدائية التي –حسبه– ما زالت إلى غاية اليوم تعيش بيننا، فهناك أناس اعتبرهم أقرب للبدائيين ويقول في ذلك: "إذن هكذا نحن نقوم بمحاسبة الناس الذين يقال عنهم متوحشون ونصف متوحشين، والحياة النفسية تأخذ منا اهتماما خاصا إذا استطعنا إثبات بأن المرحلة البدائية تمثل مرحلة سابقة لتطورنا الخاص"(41)، وإذا قبلنا –كما يقول– هذا الإثبات، فإننا نقوم بإجراء مقارنة بين علم النفس للشعوب البدائية كما يقدمه لنا الإثنوغرافيا (L'ethnographie) (علم دراسة الشعوب)، وعلم نفس العصاب (Psychologie Des Névroses) كما تقدمه بحوث التحليل النفسي(42).

وقد عنون فرويد فصله هذا بالخوف من معاشرة المحارم "La Peur De L'inceste" تطرق فرويد إلى الحياة القبلية في المجتمع الأسترالي وعلاقته بالطوطم والطوطمية، والعلاقات التي تقوم بين أفراد هذا المجتمع الذين يشكلون وحدة طوطمية (Clan Totémique) والتي تعني جماعة اجتماعية تشمل أشخاصا من أصل واحد ويقدسون طوطما يمثل جدهم المشترك(43) .

وفيما يخص العلاقات الجنسية بين أفراد هذه الوحدة الطوطمية يقول فرويد : "...تقريبا أين ما يوجد هذا النظام، يوجد معه قانون، ومن خلاله أفراد نفس الطوطم لا يجب أن تكون فيما بينهم علاقات جنسية، وبذلك لا يجب الزواج فيما بينهم، وهذا هو قانون الزواج المختلط أي الزواج من قبائل مختلفة (Exogamie) ، المتصل والملازم للنظام الطوطمي"(44).

ومن أجل فهم هذا التحريم يعرض النقاط التالية:(45)

–مخالفة هذا التحريم لا تتبع بقصاص ضد الجاني وإنما يكون الثأر من طرف القبيلة كلها، كأنه قام بفعل يمثل الخطر الذي يهدد المجتمع، وتركه يعد خطأ يحسب على القبيلة. ويقول فريزر(FRAZER)عن قسوة المجتمعات البدائية في معالجة المخالفات: " في أستراليا، العلاقات الجنسية مع شخص من نفس القبيلة المحظورة هي معاقبة بالموت"، وهذا يعني أن اختراق هذا المنع هو من أقسى المخالفات فكما يقول هاويت(HAWITT)"هو الشيء الأكثر سوءا والذي يعاقب عليه بالموت" .

-القصاص يشمل حتى المغامرات العاطفية (العلاقات الغرامية) غير المؤذية، وهذا يدل على أن هذه الممنوعات تمليها حقائق نظام تطبيقي.

-الطوطم موروث ولا يقبل التغيير.

-الزواج الخارجي ظهر من أجل المحافظة على النظام القرابي ومنع معاشرة المحارم من ذوي القربى،وبخاصة مع الأم والبنت وما غير ذلك من نساء الجماعة يجوز الزواج بهن ، لكن الطوطم يرفض الاقتران بامرأة من نفس القبيلة مهما كانت درجة قرابتها بعيدة.

يُفهم من هنا أن العائلة عوضت بالمجموعة الطوطمية التي صار أفرادها يشكلون عائلة كبيرة.

يقول فرويد :" يمكن اعتبار طبيعة الصلة الطوطمية بالصلة العائلية في كونها القاعدة الوحيدة الممكنة لمنع خطر معاشرة المحارم، لأنه إذا أعطينا للشخص بعضا من الحرية الجنسية التي تتجاوز حدود العلاقات الزوجية، نتعرض لرؤيته يغتصب الصلات الدموية ولا يتوقف أيضا أمام محظور معاشرة المحارم"(46).

وبين فرويد بعد ذلك اختلاف التصنيفات القرابية وعلاقتها بمعاشرة المحارم وتحريمه، وقد بين أنه حدث تطور في نظام الطبقات الزواجية، وظهر نوعان من تحريم معاشرة المحارم، معاشرة المحارم الطبيعي ومعاشرة المحارم عن طريق المصاهرة، كما أن بعض القوانين بالغت في المنع مثل ما حدث للكنيسة الكاثوليكية التي منعت الزواج بين الإخوة والأخوات والزواج بأبناء العم وأبناء الخال"(47).

ومنع الزواج الداخلي المرتبط بالخوف من سفاح القربى لا يمكن تفسيره عند هذا الحد وإنما نضيف إليه سلسلة من الأعراف التي تعاقب العلاقات الجنسية بين الأقارب إضافة إلى القهر الديني الذي يمنع ذلك(48).

ومن أغرب الأعراف التي يرويها فرويد فيما يخص العلاقات بين الإخوة، ما يحدث في بعض الجزر في ميلانيزيا (Mélanésie) من كون الذكر عندما يبلغ سنا معينة يغادر المنزل العائلي ليعيش في منزل مشترك مع أقرانه (نادي) حيث ينام ويأكل ويمكنه زيارة منزله لكن إذا كانت أخته حاضرة فممنوع عليه دخول المنزل، وبلغ هذا الخطر عدم سير الأخ على الرمل إذا وجد آثار أقدام أخته، وهذا يعني أنها مرت من ذاك الطريق فيمتنع عن سلكه(49)، وغير هذه الأعراف والعادات كثير لا يتسع المجال لذكرها ، يذكرها فرويد تبعا للقبائل والمجتمعات التي اتخذها مجالا لدراسته .

ويبقى –حسب فرويد- المحظور الأكثر جدية وقسوة والذي ينال أكبر اهتمام في المجتمعات البدائية وحتى في المجتمعات المتحضرة العلاقات بين الصهر وأم زوجته، ويذكر عدة أمثلة في جزر البانكو(Banko)، والفانالافا (vannalava) ، وجزر السلمون(SALOMON) والزولو(Zoulous)، والبازوغا (Basoga) الذين يقيمون في منطقة منبع النيل.

هذه الممنوعات كما يراها الملاحظون هي عبارة عن مقاييس للوقاية ضد سفاح القربى، وحتى منع العلاقة بين الصهر وأم زوجته أصبح يولد شعورا بالنفور لدى الرجل اتجاه امرأة عجوز، وهذه المرأة هي (أم زوجته) تنظر إليه كولدها(50).

ولا يوجد قانون يمنع الزواج بين الصهر وأم زوجته في المجتمعات البيضاء في أوربا وأمريكا، غير أنه لا يوجد من يقوم بعلاقات من هذا النوع كونها خارجة عن الأخلاق، وكل فرد يطبقها من تلقاء نفسه،ومن وجهة نظر فرويد هذه العلاقات متناقضة وجدانيا (ambivalentes)، تتكون في نفس الوقت من عناصر القبول وعناصر العداء(51).

وحسب علم النفس التحليلي فإنه في علاقة الصهر /أم الزوجة، تكون أم الزوجة راغبة في إقامة علاقة مع صهرها، لكنها تحس بالغيرة ويمنعها وجود ابنتها التي هي أكثر منها جمالا وشبابا وحيوية، بمعرفة المشاعر المختفية من خلال اختيار التحليل النفسي لبعض الأشخاص تبين أن الحاجات النفسجنسية للمرأة إذا وجدت ضالتها في الزواج والحياة العائلية فهي

لن تهدد باللاهدوء ولن تعاني من الفراغ العاطفي، والمرأة الكبيرة في السن تتجنب هذا المشكل الخطير عن طريق التماهي مع أطفالها وتركز عليهم كل حبها منتظرة منهم ذلك أيضا، وبزواج ابنتها ينتقل هذا الحب إلى زوجها فتعارض الأم هذا الشعور في أشكال من العصاب الخطير، لذلك نجد عند أم الزوجة شعورا بالحب اتجاه صهرها وهذا الشعور بالحب فعلي تريد إخفاءه بكل طاقاتها النفسية فينظر في مظاهر حاقدة وسادية تجاه زوج البنت.

أما موقف الرجل من احترام أم زوجته فهو يتكون من مشاعر مماثلة لكن منبثقة من مصدر آخر هو: صورة أمه، وربما صورة أم أخته كذلك، فهو خالٍ من أي تفكير، ونية محارمية ، فقد حول حبه وتفضيله الذي يكنه لأعز شخصين في طفولته إلى شخص خارجي يحمل صورتهما، فأم الزوجة أصبحت تحتل مركز الأم الحقيقية للصهر ولأخته، وهذا ما يولد مشاعر الحب التي رغم المنع تظهر كإعادة للحب الذي كان يكنه الابن لأمه الحقيقية في طفولته ،ومن جهة أخرى يحدث دائما أن يحب الرجل أم زوجته المستقبلية قبل أن يحول هذا الاهتمام إلى ابنتها (52).

الجدير بالذكر هو أن الرهاب من زنا المحارم (La Phobie De L'inceste) موجود في المجتمعات المتوحشة وموجود في مجتمعاتنا، و النفور من سفاح القربى الذي يعود في أصوله إلى الطفولة يتوافق مع ما توصل إليه فرويد في الحياة النفسية العصابية وتوصل التحليل النفسي إلى أن الموضوع الأول في الاختيار الجنسي للطفل ذو طبيعة محارمية يعود في أصوله إلى الأم والأخت، ويبقى معه هذا الأمر حتى يكبر، وللشخص العصابي بقايا طفولية نفسية تؤثر على حياته اللاواعية من خلال التثبيتات المحارمية في الليبيدو، فحب الوالدين يمثل العقدة المركزية لدى العصابي. وكخلاصة يقول فرويد أن منع العلاقات بين المحارم في المجتمعات البدائية هو وعي بخطورتها عسى أن تذهب تلك الرغبات المحارمية في يوم ما إلى اللاوعي (53).

والعقدة التي تحدث عنها فرويد هي عقدة أوديب (Complexe D'Œdipe)التي تجعل الطفل يتعلق بأمه ويحبها لكنه حين إدراكه بعدم إمكانية احتكارها يكبت رغبته ويشعر بالذنب والخوف لكن هذه الرغبات (جماع المحارم) تبقى في لاوعي الطفل حتى يكبر، لذلك حسب التحليل النفسي يكون أول موضوع حب للطفل عند كبره امرأة أكبر منه سنا، وكذلك البنت تتمنى دائما رجلا في صورة والدها.

وعموما فالتحليل النفسي يفسر الهول العام للمحرم من خلال قلق الخصاء الذي يثير الأنا الأعلى الذي يفرض كبت الرغبات المحرمة اللاواعية(54) ، هذا التفسير الذي أصبح من أدبيات التحليل النفسي.

2-تفسير إدوارد واسترمارك من خلال كتابه "تاريخ الزواج":

أصدر واسترمارك (WESTERMARCK) كتابه "تاريخ الزواج" (Histoire De Mariage) عام (1949)،وهناك من يصنفه ضمن الدراسات الأنثروبولوجية السوسيولوجية، وهناك من يصنفه ضمن الدراسات النفسية وهذه الدراسة تتبنى التصنيف النفسي لواسترمارك لأنه فسر محظور معاشرة المحارم بالعامل النفسي (النفور) النابع من الطبيعة الفيزيولوجية للإنسان،كما أنه اقتبس من داروين DARWIN وألفرد والاس WALLACE رغم اتهامه بتجاهل وتحدي العلم الحديث آنذاك الذي ينفي دور زواج الأقارب في النتائج البيولوجية(55) .

في الفصل العشرين من كتابه والذي خصصه للزواج الخارجي يقول واسترمارك أن موانع الزواج بين الأنسباء الأقارب تعود إلى عوامل مختلفة كالخوف من حدوث تعقيدات ما، الشعور بالرهبة من رؤية الترابط مركز في دائرة ضيقة، التحريم الإلهي، المساس بالحياء الطبيعي، وهذه التفسيرات والأسباب عرضها واسترمارك وأعطى فكرته ونظريته الشخصية حول مصدرها (56).

يبدأ بنقد نظرية ماك لينان(MC LENNAN)التي تقول بأن أصل تحريم معاشرة المحارم يعود إلى عادة الشعوب المتوحشة القديمة التي تتمثل في قتل البنات اللواتي يساهمن في ضعف المجتمع، ما نجم عنه بحث رجال هذه المجتمعات على نساء للزواج خارج قبائلهم عن طريق الخطف والعنف ومع الوقت أصبح الزواج بامرأة تنتمي إلى جماعته أو عشيرته جريمة نكراء[57] ، ثم تبع ذلك برفض طرح هربرت سبنسر (SPENSER) واللورد أفيبوري (AVEBURY) وفيلكن (WILKEN) التي تتشابه إلى حد ما مع طرح ماك لينان.

ثم ينتقل إلى عرض النظريات التي فسرت محظور معاشرة المحارم بالأخطار الصحية والأمراض التي تنتج عنها، والتي تسمى أمراض القرابة، ويعرض إلى مختلف الدلائل والحجج التي قدمها أصحاب هذه النظريات عن طريق وصفهم الأمر عند الشعوب البدائية والمتوحشة ليخلص في الأخير إلى أنه حتى " إذا تمكنا من إثبات أن بعض المتوحشين اكتشفوا حقيقة الآثار الضارة الناتجة عن التزاوج بين الأقارب سوف لن يكون لنا الحق بأن نفرض أن تجاربا من هذا النوع قد سجلت بطريقة معمقة بما فيه الكفاية كي نشرح النظرية التي عم وجودها عالميا"[58]، وكذلك وجه هذا النقد نفسه إلى القائلين بنسبة هذا المحظور إلى الخوف القديم للشعوب البدائية من القوى الغيبية والخرافات، هذه الأخيرة التي شكلت لبّ نظرية فرايزرFRAYZER والتي قال عنها واسترمارك "إنني أعتقد أن الإجابة هي في غاية البساطة... إن سفاح المحارم ينظر إليه كأمر ضار لأنه مستنكر ولكنه لم يتعرض في البداية للاستنكار لأن هذه الجماعات كانت تؤمن بأضراره ومساوئه، وهذا يرتبط بالواقع الذي يقول أن الأشكال الأخرى من العلاقات الحسية غير المشروعة مثل الزنا والسفاح والفجور كانت خاضعة للافتراض الضمني بأنها تنتج الآثار الضارة، وإن فرايزر نفسه قد فطن إلى ضعف نظريته"[59]، وقال في كتابه "مبدأ الطوطمية والزواج الخارجي" الذي نشره عام (1910): "يمكن الاعتراض كما سبق لي أن اعترضت بنفسي، ...بأن كل هذه المبادئ المتعلقة بالنتائج الطبيعية لسفاح المحارم كانت من الآثار الناتجة عن منعه وتحريمه وليست سببا لها"[60].

وبعد تقديم واسترمارك لآراء دوركايم (DURKHEIM) وغيره من رواد التفسير الاجتماعي ونقدها، يقوم بعرض تفسيراته الخاصة، فهو يرى أنه حتى إذا تمكنت المحظورات الاجتماعية من منع إقامة علاقة جنسية بين الأقارب من الدرجة الأولى فإنها لن تستطيع بالتالي منع الرغبة الجامحة لإنشاء هكذا علاقات، فالغريزة الجنسية قلما يمكن لها أن تتعدل أو تتغير بواسطة بعض الإرشادات أو التعليمات[61]، أي أنه حتى مع وجود القوانين لا يمكن التسليم بالانضباط في الخضوع لها عند الإنسان الذي تتولد في نفسه ميول إنشاء علاقة جنسية محرمة.

يستخلص أنه في كل مكان من هذا العالم هناك الغياب التام للأحاسيس الجنسية الإباحية بين الأشخاص الذين يعيشون معا في جو من المودة الحميمة منذ الطفولة، واللامبالاة الجنسية تتوافق مع شعور إيجابي بالنفور حتى بمجرد تخيل هذه العلاقة الشاذة ، هذا بالنسبة له هو السبب الرئيسي لوضع محظورات الزواج الخارجي، فالأفراد الذين يعيشون معا منذ الطفولة وتجمعهم روابط وثيقة يعتبرون كأنسباء وأقارب من الدرجة الأولى لذلك فإحساسهم بالنفور والإشمئزاز من إقامة علاقات جنسية فيما بينهم يكتمل من خلال الأعراف والقوانين التي تتخذ صفة الموانع والمحظورات العرفية والقانونية لأية علاقات جنسية بين الأقربين [62].

وهذا النقص الطبيعي للنوازع والميول الجنسية بين الأفراد الذين عاشوا معا فترة طويلة منذ طفولتهم كان يعد بالتأكيد ظاهرة عالمية، واستشهد برأي أفلاطون في أن القانون غير المكتوب يمكن أن يحرم العلاقات السفاحية بين الأهل وأولادهم والإخوة وأخواتهم، وهذه الفكرة لم تكن تراودهم حتى في أحلامهم رغم معيشتهم في نفس المكان ونومهم مع بعضهم البعض[63] ، وهذا هو جوهر تفسير واسترمارك الذي يربط محظور معاشرة المحارم وظهور الزواج الخارجي بالنفور

الطبيعي النابع من نفسية الأفراد الذين يعيشون مع بعضهم البعض، ويتولد هذا الإحساس دون معرفة الأعراف والقوانين التي تضبط العلاقات فيما بينهم ،ويرى أيبيرلي وزملاؤه أن افتراضات واسترمارك بأن زواج الأقارب ضار صحيحة ويوافقونه في طرحه ،لكنه عكسهم لا يقول بأن الاعتراف بهذا الضرر أدى إلى نشأة طابو المحارم كما يرى أيبيرلي وزملاؤه،وإنما يرى بأن العواقب الوخيمة لزواج الأقارب اختارت الميل الفطري لتطوير النفور من العلاقات الجنسية مع شركاء الطفولة[64] ،إذن فواسترمارك لم يربط بين البيولوجي والمنع السوسيولوجي مباشرة وإنما جعل بينهما رابطا محفزا هو العامل النفسي المتمثل في النفور الطبيعي ،ويوافق فريزر واسترمارك في هذا الرأي حيث يرى أن "هناك نفورا طبيعيا من زنا المحارم،وعلينا بدلا من أن نفترض أن هناك غريزة طبيعية في صالحه ،وأنه إذا كان القانون يقمعها كما يقمع الغرائز الطبيعية الأخرى ،فهذا لأن الرجل المتحضر وصل إلى استنتاج مفاده أن إرضاء هذه الغرائز الطبيعية يضر المصالح العامة للقرن 20"[65].

3-تفسير مالينوفسكي(MALINOWSKI):

يعرف برونسلاف مالينوفيسكي (1884-1942) بأنه من الأنثربولجيين الذين كانوا يرفضون اللجوء للتاريخ ويعتمدون على التحليل الآني لعناصر الثقافة في مجتمع معين وفي الزمن الحاضر[66] ،وقد قدم عدة مؤلفات تناولت الحياة في المجتمعات البدائية وتطورها، منها: الحياة الجنسية عند المتوحشين شمال غرب ميلانيزيا "-La vie sexuelle des sauvages du nord (ouest de la Mélanésie) وثلاث محاولات حول الحياة الاجتماعية للبدائيين (Trois éssais sur la vie sociale des Primitifs) وكتاب الجنسانية وردعها في المجتمعات البدائية (la sexualité et sa répression dans les sociétés primitives) الذي نشر عام (1927) ،وهذا الأخير يمثل لب إسهامه في مجال تفسير منع زنا المحارم .

يرى مالينوفسكي أن" ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد،والتي حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية ،والأمان والاسترخاء،والحركة والنمو.وتنشأ النظم الاجتماعية عادة لتحقيق تلك الرغبات "[67] ،يوضح هذا اهتمام مالينوفسكي بأهمية مراعاة المجتمع الذي يظهر فيه سلوك معين من أجل تفسيره ،وهذا مافعله مع طابو المحارم في المجتمعات البدائية ، فرغم قبوله لآراء فرويد التي تجعل عقدة قائمة في كل عائلة وهي عقدة أوديب ناتجة عن الكبت في الغريزة والمشاعر، إلا أنه يأخذ عليه إهماله للجانب السوسيولوجي وتأثيره على تكون هذه العقدة التي آمن بها فرويد وبعده علماء التحليل النفسي، وجعلوها دراما فرويدية (Drame Freudienne)إضافة إلى أن مالينوفسكي رفض تفسير العقدة العائلية بعيدا عن الأنثروبولوجيا، هذا ما جعله يطرح في كتابه مسلكين:

الأول: وهو أن الأسرة ليست نفسها في كل المجتمعات وبالتالي: فالعلاقات بداخلها بين أفرادها: الرغبات، الصراعات، علاقات الحب التي تظهر في كل أسرة ، تختلف حسب تكوين هذه الأخيرة من مجتمع لآخر، ولذلك لا يمكن القول بعالمية ظاهرة عقدة أوديب[68].

الثاني: تساءل عن طبيعة تأثير العقدة العائلية المتضمنة في الأساطير والسير والروايات الشعبية في أعراف البدائيين والمتوحشين على شكل التنظيم الاجتماعي وعلى منتوجات الثقافة المادية[69] .

في الفصل الأول المعنون بـــ" تكوين العقدة(La formation d'un complexe) قام بعرض ما توصل إليه من خلال دراسته الميدانية للحياة الجنسية في الشمال الغربي لميلانيزيا (Nord –Ouest de la Mélanésie) ،وقد قارن شكل الأسرة في ذلك المجتمع والتي تأخذ نمط الأسرة أموية النسب، بشكل الأسرة الأبوية في المجتمعات المتحضرة العصرية ، ليتوصل في

الأخير إلى أن عقدة أوديب لا توجد إلا في الأسرة ذات نمط الانتساب الأبوي وهذا ما لاحظه أيضا في دراسته لجزر التروبرياند Trobriand في الشمال الشرقي لغينيا الجديدة.

ففرويد يقول أن عقدة أوديب تتكون من علاقة ثلاثية بين الأب ،الأم والابن والعلاقة التي وجدها مالينوفسكي هي عقدة نووية(Complexe nucléaire) وهي العلاقة بين أخ ، أخت وابن الأخت(70)، باعتبار أن هذه القبائل والجزر البدائية النظام فيها أموي والخال هو الذي يدير شؤون العائلة وتخضع له أخته وأبناؤها، أما الأب فغائب تماما إلا من خلال إنجابه الأطفال، وهذا ما جعل مالينوفسكي يدخل في نقاش حاد أدى به إلى إقامة حوار مع عالم التحليل النفسي(Ernest JONES)عام (1920) والذي كان يرى بعالمية عقدة أوديب، ويناصر معلمه فرويد، وقام عام (1924) بنشر مقال دافع فيه عن منتوج التحليل النفسي المتمثل في عقدة أوديب (71) ،إذن فحسب مالينوفسكي فإن لبّ العقدة الأسرية البدائية تتكون من التجاذب والتلازم بين الأخ والأخت ، والكره بين ابن الأخت والخال ، وبعد تحول النظام الأموي إلى الأبوي خلفت عقدة أوديب العقدة النووية.

والجزء الرابع من الكتاب هو الأهم في إسهامه والذي تناول فيه علاقة الغريزة بالثقافة (Instinct et Culture) أي الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، خلص من خلاله إلى أن الإنسان مثله مثل الحيوان لديه نوازع محارمية بين الأب والابن، وفي مجتمع الحيوان يكون النفور منها نابعا من الغريزة، أما في عالم الإنسان فمعاشرة المحارم غير مقبولة في العائلة والثقافة تطبق تربية معينة تفرضها السلطة التي تحضر في المجتمع الإنساني من طرف الأب، والعلاقات بين الأب والابن تنتج وتولد الكره وبقية العناصر المكونة لعقدة (72) ،وبعد مقارنة طويلة ومتشعبة بين السلوك في العائلة الحيوانية والعائلة الإنسانية توصل إلى أن السلوك بصفة عامة هو نفسه عند الإنسان والحيوان وكذلك السلوك الجنسي، إلا فيما يخص بعض التقنيات والتفاعلات التي تنتجها الثقافة ، هذا الاختلاف الذي أنتج خطرين يهددان العلاقات الأسرية ولكن لا بد منهما وهما: الميل إلى معاشرة المحارم (La tendance à l’inceste)، والثورة ضد السلطة (La révolution contre l’autorité) وبهذا ظهر منع وحظر معاشرة المحارم الذي حول الغريزة إلى شعور، فانتقل المجتمع الإنساني من حالة الطبيعة (الغريزة) إلى حالة الإنسانية والثقافة (الشعور).

ويرفض مالينوفسكي الحجج التي قدمها الطبيعيون (البيولوجيون) في تفسير منع معاشرة المحارم ورأى أن هذا المنع نابع من الثقافة لأنه لو كان نابعا من الطبيعة والأخطار الوراثية لرأينا ذلك في العلاقات الجنسية بين الحيوانات من أسرة واحدة رغم رابطة الدم، فالحيوان عند بلوغه سنا معينة يترك أسرته ويدخل في ارتباطات جنسية مع أي أنثى حتى لو كانت أمه أو أخته، ولا يعتبر هذا مشكلا بيولوجيا ولا يشكل أي خرق للحدود والضوابط المانعة، عكس العالم الإنساني الذي تفرض فيه الحواجز المانعة والخطر المشدد، باعتبار كل عائلة فيها الخوف من معاشرة المحارم الذي يشكل خطرا كبيرا ويوافق (مالينوفسكي) في هذه النقطة طرح فرويد، ويعارض نظرية واسترمارك الذي يقول بأن في النفس البشرية نفورا طبيعيا من معاشرة المحارم، وبهذا فالحب الطفلي هو حقيقة حب جنسي (73)، ويؤكد رؤية مالينوفسكي نظرية داروين التي تقول بأن"الغريزة الخاصة بكل نوع مناسبة لنفس النوع"(74).

يوافق مالينوفسكي فرويد في وجود الإحساس المحارمي، والرغبة المكبوتة، لكن يرفض الاستمرار المتواصل لها، وهذا هو جوهر الاختلاف بين طرحه وطرح التحليل النفسي، فهو يرى أن هذا الإحساس المحارمي جزئي بين المصات القديمة للطفل (أي رضاعته لأمه مع كل ما يرافقها من رغبات دفينة) وبين الدوافع الجديدة، فهو يساهم في تكوين الشعور،

ويحتج على ذلك بعالم الحيوان الذي لا يوجد فيه الشعور المحارمي كون الحيوان الصغير يغادر عائلته، فسبب هذه النوازع إذن هو في مرحلة معينة وليس منذ الطفولة إلى مراحل حياته التالية كما يرى فرويد.

ويرى أن أصل منع معاشرة المحارم يعود إلى كون الأم تقوم برعاية الابن وتوجيهه وتوفير حاجياته لذلك يتولد لديه إحساس الاحترام، ورغم صعوبة التوفيق بين الفعل غير اللائق وشعور الخضوع والامتثال، يختار الشعور الأخير لأنه يتوافق مع ما يفرضه المجتمع، فمنع معاشرة المحارم يرجع إلى كونها غير متوافقة مع الأسس الأولية للثقافة والحضارة، "لذلك نجد في أي حضارة أو عرف، الأخلاق والقانون تسيطر على معاشرة المحارم لأنها تمثل انتفاء الاختلاف في السن، اختلاط الأجيال، اختلال الأحاسيس والأدوار في وقت تمثل فيه الأسرة أكثر عامل مهم في التربية، ولا يوجد أي مجتمع يوجد في مثل هذه الظروف، ووحدها الحضارات التي تمنع معاشرة المحارم هي التي تكون متوافقة مع النظام والتطور"(75)، وباختصار معاشرة المحارم يكون اعتباره كرد فعل ثقافي و محظور المحارم (Tabou de l'inceste) مهم في تنظيم الغرائز (76).

وبعد الحديث عن علاقة الأم بالابن ينتقل مالينوفسكي للحديث عن العلاقة أب —ابن ، وهو لا يعطي أهمية كبيرة للبنت لأنه يرى أن معاشرة المحارم بين الأب والبنت أقل أهمية، وكذلك الصراعات بين البنت وأمها تكون أقل حدة منها بين الأب والابن، لأن الابن يعيش حالة من الصراع بين رغبته في أمه واحترامه لأبيه الحامي والعائل ورأس العائلة، هذا الصراع الذي يصل إلى حد تفكيره في قتله(Parricide)، كما أن أداء الأب لدوره يؤثر على نفسية وسلوك الابن الذي يجد صعوبة في ضبط سلوكه وإحساسه عندما يتحول الأب من مرب وحام للعائلة ومعلم للأخلاق والضوابط إلى حاكم يأمر ويسيطر ويتعسف في استعمال سلطته، في هذه الحالة يختار الابن بين الإحساس بالرغبة تجاه الأم وشعور الاحترام، والحالة الثانية عندما تغيب سلطة الأب فيبحث الابن عن شخص آخر، وبهذا وكاستنتاج أخير عقدة أوديب أو العقدة العائلية مرتبطة بنمط العلاقات داخل الأسرة.

أخيرا يمكن القول أن مالينوفسكي جمع بين علم النفس التحليلي، وبين الثقافة، فهو إذن يصنف ضمن المجموعتين، كما أنه أقرّ بوجود عقدة أوديب لكنه لم يقرّ بعالميتها، وجعل محظور معاشرة المحارم من صميم الثقافة، وقد تبعه في ذلك ليفي ستروس، كما سنرى فيما بعد.

وكتعليق على النظريات التي فسرت منع معاشرة المحارم من الوجهة البيو–سوسيو–نفسية فقد جعلت المنع ذو أساس ذاتي يبرره البيولوجي و الخوف والمستحيل وعدم الإمكان باستثناء مالينوفسكي الذي ربط بين الذاتي والثقافي .

<u>ثالثا : النظريات السوسيو–أنثربولوجية:</u> لم يحبذ باتريك باتسون BATESON تعبير علماء الأحياء بالاغتصاب أو التزاوج الحيواني لأنه يعتقد أن زنا المحارم ينبغي أن يقتصر على السلوك الاجتماعي البشري أين تحد المحظورات الثقافية الاتصال الجنسي أو الزواج مع الأقارب (وغيرهم ممن يمكن اعتبارهم أقارب)(77)، فالاتجاه السوسيولوجي من أهم الاتجاهات في تفسير محظور زنا المحارم لأنه يتحكم في آليات تفسير تطور نظام الزواج و لايمكن فصل القراءة السوسيولوجية لمحظور زنا المحارم عن القراءة الأنثربولوجية باعتبار أن الدراسات التي أجريت حول السلوكات الجنسية في المجتمعات البدائية ذات خصائص أنثربولوجية ،لذلك سنعرض في هذا الاتجاه إلى ثلاثة إسهامات لأشهر علماء الاجتماع والأنثربولوجيا وهم: دوركايم(DURKHEIM) ،كلود ليفي ستروس(LEVI-STRAUSS) ،وهيريتي فرانسواز(HIRITIER Françoise) وذلك كما يلي:

1-تفسير إميل دوركايم:

حسب دوركايم(Emile DURKHEIM) فإن المجموعات في الأصل كانت مجهولة وغامضة ،وهذه المجتمعات الصغيرة شعرت بالحاجة إلى الدلالة عليها باسم خاص بين المجتمعات المجاورة التي تزيد علاقة التعارض بينها أو تنقص ،فاختارت اسم النبات أو الحيوان الذي يشابهها في الخصائص الطبيعية والمعنوية وهذا ماولد الزواج الخارجي ماقبل طوطمي ،ولايكفي للزواج أن يكون الرجل والمرأة من طوطمين مختلفين بل يجب أن لا يكونا من نفس مجموعة النسب.[78]

وقد حاول أتكينسون M . ATKINSON إيجاد أصول ماقبل الإثنوغرافية pré-ethnographique وحتى تقريبا ماقبل الانسان الذي يسبق الجماعات الانسانية الأولى التي نعرفها ،فإنه يأخذ انطلاق الأسرة التي يرأسها رئيس ،لديه سلطة بطريركية ويتميز بالغيرة الجنسية ،احتكر جميع النساء في المجموعة بما في ذلك بناته،ونتيجة لذلك لم تكن هناك أي منافسة له،فقد نفى كل الذكور في مجموعته بمجرد أن يصبحوا بالغين،وهؤلاء يشكلون عصابات خطف الإناث اللاتي يحتاجونها [79] ،ومن أجل فهم وصول هذه الجماعات إلى مرحلة حظر العلاقات المحرمية يقدم دوركايم إسهاما يتلخص في كون "منع المحارم هو ظاهرة اجتماعية بحتة ولاتتعلق بالبيولوجي مثل الفعل النفسي "[80] ،وهذا الإسهام ضمنه في دراسته التي نشرها في الحولية السوسيولوجية "(L'année Sociologique)في العام (1899-1900) والتي ضمنها آراءه حول أصول منع وحظر معاشرة المحارم (La Prohibition De L'inceste Et Ses Origines) فكان محور المشكل الذي طرحه والذي قامت عليه دراسته هو: معرفة لماذا أغلب المجتمعات تمنع معاشرة المحارم؟ وقد قام بعرض دراسته في ستة محاور.

تناول في المحور الأول الطوطم (الجد الأكبر) وعلاقته بمنع معاشرة المحارم، هذا المنع الذي يصل في القبائل والعشائر الأسترالية وغيرها من الأقوام البدائية إلى حد منع الارتباط سواء بالزواج أو بغيره بالأفراد من العشيرة ومن العشائر الأخرى المجاورة التي لها نفس الطوطم، وبهذا يشير دوركايم إلى توسع مفهوم الزواج الخارجي ، واستنتج أن الزواج الخارجي يحمي العشيرة، وبما أن معاشرة المحارم تعني اتحادا جنسيا بين أفراد أقرباء بدرجة محرمة فدوركايم ينظر إلى الزواج الخارجي على أنه منع لمعاشرة المحارم[81] ، كما أن القرابة تنشأ من علاقات اجتماعية سواء داخل العائلة أو خارجها ما جعل أي ارتباط يهز هذه العلاقات مرفوضا لأنه يمس بالعشيرة كلها، ويقول دوركايم أن هذا هو الأساس الأول لمنع معاشرة المحارم[82] .

وتقسيم القبائل إلى عشائر ليس هو العامل الوحيد الذي يؤثر على العلاقات بين الجنسين، وإنما هناك نظام آخر هو : نظام الطبقات(Système Des Classes) حيث تقسم كل عشيرة إلى طبقتين لكل منها اسم خاص ، ويحكم الزواج بين طبقات العشيرة وطبقات العشائر الأخرى قانون خاص ونظام محكم، حيث يتزوج أفرادها فقط إذا تلاءم نسبهم، ويرجع هذا التقسيم إلى هدف واحد وهو الأخذ في الحسبان ومعرفة عدد وإمكانية الزواجات الممنوعة التي ترتبط بهذا النظام[83]، وبعد عرضه لمختلف أنواع الارتباطات ومنعها وأسبابها، توصل إلى أن الزواج الخارجي في القبائل الأسترالية يشمل على عدة عوامل، ففي حالة نسب العشيرة أبوي (Agnatique) يمنع الارتباط الجنسي مع الأفراد الأقرباء من الأب وكذلك من الأم،و نفس الشيء إذا كان النسب من الأم (Utérin) [84]، وبهذا فقد وسعت القبائل الأسترالية مفهوم القرابة واتسع بذلك الزواج الخارجي، وفي الفصل الثالث قسم دوركايم النظريات التي فسرت قضية منع معاشرة المحارم إلى قسمين، القسم الأول الذي فسّر الزواج الخارجي حسب خصوصيات معينة لبعض المجتمعات ، والقسم الثاني فسره ببعض الصفات الجوهرية في الطبيعة الإنسانية بصفة عامة[85] .

وقد بدأ نقده لهذه النظريات بعرض آراء كل من ليبوك(LUBBOCK)، سبنسر(SPENCER) ، وماك لينان MC) LENNAN)فيما يخص أصل الزواج الخارجي، ويعتبر أن آراءهم تتشابه إلى حد كبير لأنها ربطت الزواج الخارجي بالعنف، باعتباره قام على الخطف أول ما قام، ولتشابه آرائهم، يعرض فقط نظرية ماك لينان التي تتلخص في كون بعض القبائل كانت تقتل بناتها حتى نقص الجنس الأنثوي فاضطر أهلها إلى جلب النساء من خارج العشيرة من أجل الزواج، وذلك عن طريق الخطف، وترسخت هذه العادة حتى أصبحت الأصل وأصبح الزواج من داخل العشيرة محرما، ويقدم دوركايم نقدا لاذعا لهذه النظرية لأن ماك لينان عمم ما لاحظه في قبيلتين اثنتين فقط على القبائل الأخرى وهذا لا يصح ، لأن لا أحد بعد ماك لينان وجد هذا النظام سائدا في أي من القبائل البدائية المعروفة.

ويتبع ذلك بنقد لنظرية مورغان(MORGAN)التي ترجع منع معاشرة المحارم وأصل الزواج الخارجي إلى العيوب الوراثية،والأمراض الطبيعية التي قد تصيب المتزوجين من الأقارب المرتبطين برابطة الدم، وقد رفض دوركايم هذا الطرح لأن المجتمعات لا تحمل نفس الدم، كما أن هناك من المجتمعات من تتزوج من نفس العشيرة (الدم) كما يحدث في المجتمع اليهودي و لم يلاحظ فيه أي عيوب خلقية، وهناك مجتمعات يتم فيها الزواج بين الأخ والأخت من طريق الأب، وضرب العديد من الأمثلة على ذلك مثل: زواج النبي إبراهيم من سارة وهي أخته غير الشقيقة، وزواج تمارا بنت النبي داود من أخيها غير الشقيق أمنون، ويقول أنه يجد هذا الزواج عند العرب القدامى وغيره من الشعوب، " وبما أن معاشرة المحارم مبغوضة (Abhorré)من طرف كل الشعوب، فمنعها غير مرتبط بالقرابة الدموية (Consanguinité)".(86)

يشرح دوركايم في الفصل الرابع والخامس علاقة الطوطم بالطابو وعلاقة هذا الأخير بالزواج الخارجي وبالتالي منع معاشرة المحارم، حيث يرى أن الطوطم في أي مجتمع من المجتمعات البدائية يمثل الجد الأكبر، فالطوطم هو إله والطوطمية هي اعتقاد، أي أن احترام أفراد العشيرة لهذا الطوطم نابع من الاعتقاد الديني، هذا الاعتقاد الذي يجعل أي شيء يمس بهذا الإله (الطوطم) محظورا (Tabou)، حتى أصبح بلوغ الفتاة والعلاقات الجنسية بين الأفراد من الطابوهات، كما أن الدم يعتبر من الطابوهات في القبائل الأسترالية ما يجعل شعوب هذه القبائل لا تنتهك –بشعورها الديني- مقدس الدم الذي يربط كل أفراد العشيرة ، وبالتالي لا تكون هناك علاقات جنسية أو زواجات داخل العشيرة ويكون الزواج خارجيا.

في الفصل السادس والأخير يتطرق دوركايم إلى أسباب منع معاشرة المحارم في المجتمعات المتحضرة، فهو كما يقول يوافق على القوانين الصحية ولكن محافظة على النظام العائلي (المنزلي)، فالحياة العائلية بسبب العيش جنبا إلى جنب بين أفرادها قد تفتح المجال لخطر انحراف الرغبات الجنسية، وسهولة إشباعها واختلال النظام والانحراف إذا سمحت بالزواج بين أفرادها المقربين(87)، ولهذا حتى العبث الجنسي البسيط مرفوض والقانون لا يكفي للردع لأن الأمر متعلق بالحياة العائلية التي تتطلب نظاما دفاعيا من طرف أفرادها، فالوسط العائلي هو الكفيل بمنعها خاصة وأنه يحمل شعور الرفض الطبيعي والتلقائي لمعاشرة المحارم لأنه في وجودها لا تصبح العائلة عائلة ولا الزواج زواجا.

يقول دوركايم أن النفور في المجتمعات البدائية بين المقدس والمدنس (Tabou Et Profane) نجده في الحياة العصرية بين الوظائف الزوجية ووظائف القرابة(88) ،و"ما يعني الحياة العائلية متضمن في فكرة الواجب، فالعلاقات مع إخوتنا، أخواتنا وآبائنا مضبوطة من طرف الأخلاق، إنها شبكة من المفروضات التي نقبلها بكل سعادة"(89)، وما دامت العلاقة الجنسية قائمة على الرغبة ، فالحب في حالة علاقة جنسية بين أفراد العائلة غير مبرر لأنه يخل بالضوابط، والعقل لا يقبل فكرتين متناقضتين: الجيد والرغبة، الواجب والشهوة، المقدس والمدنس، فهذا يجعل بناء فكر أخلاقي مستحيلا(90) . وبهذا فقد ربط دوركايم أصل منع معاشرة المحارم بالمحظور الذي ينشأ عن الحياة العائلية والعلاقات الأسرية التي تجعل كل ارتباط من

هذا النوع انتهاكا للأخلاق والقانون ، بسبب قداسة الدم الذي يجمع أفراد العائلة الواحدة، فيصبح حينذاك النفور من العلاقات الجنسية بين المحارم شعورا تلقائيا طبيعيا.

2-تفسير كلود ليفي ستروس (Claude LEVI-STRAUSS) : يؤكد ليفي ستروس أيضا بأن المرحلة ماقبل الاجتماعية (pré-sociale) كانت تتميز بالاختلاط (la promiscuité) في العلاقات الجنسية [91] ، ويظهر هذا في مؤلفه المنشور عام(1949) بعنوان : "البنيات الأولية للقرابة "

(Les Structures Elémentaires De La Parenté) وقد جعل من المحرم ركيزة المجتمع من حيث أنه يؤسس "دورة النساء والزواج الخارجي وتمايز العائلة والمجتمع"[92]، وفيما يلي نعرض إلى ملخص للتفسير الذي وضعه ليفي ستروس لمنع معاشرة المحارم .

استخدم ليفي ستروس طريقة تفصيلية تطبيقية، شرح التغير الذي أحدث المرور من الوعي إلى اللاوعي البنيوي كتأسيس للحقيقة التي تقول أن مفهوم التبادل لم يكن موجودا في النموذج اللغوي وليفي ستروس كرسه أخذا عن مارسال موس (Mercell MAUSS)، هذا المفهوم الذي سيكون رئيسيا لفهم كتاب ليفي ستروس [93].

يقول ليفي ستروس أنه قبل منع معاشرة المحارم، الثقافة لم تكن موجودة، وفيما يخص معاشرة المحارم الطبيعية هي التي كانت تحكم وبمنع سفاح القربى تطورت الطبيعة لتجاوز نفسها وظهرت بنية من نوع جديد وعقد في تكوينه ودرجته، ويضيف أنه مثل الزواج الخارجي، منع سفاح المحارم هو قاعدة (قانون) المبادلة، والتبادل على المستوى الثقافي هو الشاهد المفروض لبنية طبيعية لا واعية مسؤولة عن انبثاق الفكر الرمزي، وفي نفس الوقت لمنع سفاح المحارم وأيضا الثقافة[94] .

يؤمن ليفي ستروس بأنه ما كان بيولوجيا يتموضع حالا في ثقافة ما، فمن المستحيل إيجاد حالة طبيعية للإنسان قبل حالته الثقافية ويتساءل : ماذا تقدم الحالة الطبيعية للفرد بدون الثقافة؟ وكيف تحول الثقافة الطبيعية؟ ويستنتج انطلاقا من هنا أن منع معاشرة المحارم هو خلاصة الالتقاء بين صفات الطبيعة والثقافة فهو قانون (وهذه من خصائص الثقافة) وهو عالمي (وهذه من خصائص الطبيعة) ، بعدها يتساءل من أين جاء منع معاشرة المحارم؟

يقرر ليفي ستروس أن منع زنا المحارم هو بحق مفترق الطرق وانبثاق لنظام (أمر) جديد [95]، وفي الفصل الثالث من كتابه يرى أن أصل منع معاشرة المحارم التي هي في الطبيعة لا توجد باسمها أي كقانون اجتماعي، بل تفهم، لأن منع المعاشرة بين المحارم يختلف من مجتمع لآخر حسب تحديد كل مجتمع للقرابة، والقرابة الحقيقية هي قرابة الدم (أخوة-أخوات) (آباء- أولاد)، ومنع المعاشرة بين المحارم يدل على المرور من الفعل الطبيعي (الرابطة الدموية) إلى الفعل الثقافي (المصاهرة)[96]، فالزواج (المصاهرة) هو الذي فعل قانونا (قاعدة) للتبادلات المنفعية [97].

ويعود ليفي ستروس لإيضاح كيفية شرح وتفسير المبادلة لمنع معاشرة المحارم حيث يرى أن النساء في البداية لم يكونوا إشارة عن قيمة اجتماعية وإنما كانوا مشيرا طبيعيا، وبفضل المبادلة حدث التحول من المشير إلى علامة اجتماعية وحدثت السيرورة الأساسية في الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، وهذا يلخص الدور الرئيسي لحظر معاشرة المحارم في تبادل النساء [98]،وبهذا كان حظر معاشرة المحارم من أجل الانتقال بالبشرية من العائلة البيولوجية إلى العائلة الثقافية، وهذا من أجل التزاوج الخارجي الذي هو أساس التبادل، هذا التبادل الذي ربطه بالتبادل اللغوي ،حيث جعل محظور المحارم عالميا مثل اللغة، فالعالم باللسانيات وعالم الاجتماع في نظره لا يستخدمون نفس المنهج، بل يدرسان نفس الموضوع، وقد ركز ليفي ستروس على العلاقات التي لاحظها في لغة قبائل بدائية معينة، بين استعمال اللغة، والكلام واستعمال النساء، فاللغة هي وسيط في تكوين الموضوعات، وتتشابه مع العلاقات بين الجنسين (ذكر-أنثى) في كونهما طرقا لوظيفة كبرى هي

الاتصال، وهناك ألفاظ في اللغة يمنع استعمالها ، فهي تصنف ضمن محظور معاشرة المحارم، هذا معناه أن ليفي ستروس يرى بأن النساء يتم التعامل معهن كإشارات (علامات)[99] من حيث التبادل.

وعموما تتلخص محظورات زنا المحارم عند ليفي ستروس في كونها موجودة في الحد القائم بين الطبيعة والثقافة ، وفي أصل الحياة الاجتماعية والثقافية ، لأن منع معاشرة المحارم هو أساس التزاوج الخارجي ومنع الزواج الداخلي.

3-تفسير هيريتي فرانسواز(HIRITIER Françoise)

أصدرت هيريتي عام (1994) مؤلفها Les Deux Sœurs Et Leur Mère[100] ، نقدا لأستاذها ليفي ستروس ، الذي أهمل –حسبها- معاشرة المحارم من النوع الثاني L'inceste du deuxième type). تقول أن منع معاشرة المحارم يعني أولا العلاقات بين الأم- الابن، الأب – البنت، الأخ –الأخت أي الارتباطات الدموية ، وأطلقت هيريتي على هذه القواعد اسم معاشرة المحارم من النوع الأول (Inceste du premier type)، كما لاحظت العديد من أنواع العلاقات الممنوعة بين أفراد لا تربطهم رابطة دموية ، ليسوا من الأقارب مثل العلاقة الجنسية بين رجل وأخت زوجته، زوجة الأخ وابنة الزوجة وغيرها، هذه العلاقات أطلقت عليها هيريتي اسم معاشرة المحارم من النوع الثاني، ومنع هذا النوع هو الذي يفصل بين الشعوب المتحضرة والشعوب التقليدية، وتعرض فيما بعد إلى منع الارتباط في مختلف الحضارات القديمة، وإلى حرمته في نصوص الكتاب المقدس (la Bible) والقرآن الكريم، وكذلك تواجده في القانون المدني الفرنسي، ومنعه أيضا في المجتمعات الإفريقية التي تمت دراستها ميدانيا من طرف العديد من الباحثين في الأنثربولوجيا والتي تصنفها ضمن الأنظمة نصف المعقدة "(Les systèmes semi-complexes) التي تمنع معاشرة المحارم ليس بسبب الزواج الخارجي وإنما لمنطق آخر، وهو الذي يقول باستحالة الارتباط شهوانيا مع من تم الارتباط بهم طبيعيا (أي عن طريق القرابة والمصاهرة، ومنع معاشرة المحارم من النوع الثاني ليس عالميا، فهناك من المجتمعات من تشجعه، لكن في الفكر المجتمعي بصفة عامة نجد رفضا له خصوصا فيما يتعلق بالاتصال بين الأطراف المتماثلة ، خاصة العلاقة الجنسية بين الرجل وأخت زوجته، التي يطالب بالتخلي عنها ليس فقط بسبب الغيرة بينهما لكن بشكل أكبر لأن ذلك خطر على الجميع، لأن المجتمع لا يقبل ذلك، وطبيعة العلاقات الناتجة عن المصاهرة تتخرب بهذا الفعل.

وكتعليق على الدراسات السوسيو-أنثروبولوجية يمكن القول بأنها فسرت المنع وعالميته من خلال الثقافات والاختلاف فيما بينها، والنمط السلوكي السائد، وهو بذلك يحمل البعد الإنساني كخاصية من خصائص الثقافة،وكإضافة على التفسيرات السوسيولوجية ربطت بعض الدراسات بين منع زنا المحارم وقدسية اسم الأب في العائلة ،باعتبار أن اسم الأب في العائلة الانسانية هو استعارة حية عن العقل[101] ،فزنا المحارم هو انتهاك لقانون اسم الأب الذي يشكل وجوده في الجماعة والعائلة أساسا منظما لخلق اللغة وتبادلها ،فالوحدة في الاختلاف في العائلة هي الرجل والمرأة وبدون الرابطة بينهما وبدون رمزية الكلام الأصلي لايوجد لارجل ولا امرأة ولا أطفال [102] ،وعن طريق التبادل المتقاطع للكلمات والأحاسيس إضافة إلى منع زنا المحارم يؤسس كل قانون وبالخصوص قانون اللغة[103] .

وكخلاصة للتفسيرات المقدمة لمنع محظور زنا المحارم يمكن القول بأن زنا المحارم يسجل اسم الأب في أصل كل قانون ، ويحدد نقطة العفة في الكلام [104] ،وبالتالي منعه هو مولود اجتماعي من أجل تنظيم الحياة الاجتماعية لكنه انتقل إلى شكله الآني بعد عدة قفزات بيولوجية ونفسية واجتماعية وثقافية ولغوية .

قائمة المراجع :

---

(1)-محمد بن أحمد أبو الوليد بن رشد ،بداية المجتهد ونهاية المقتصد،دار المعرفة ،بيروت،ط1402،6ه-1981م،ص433.

(2)- سورة الإسراء ، الآية 32.

(3)- سورة النور، الآية 02.

(4)- سورة النساء، الاية15.

(5)-سورة النساء، الاية25.

(6)-ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، باب حرف الميم، دار صادر، بيروت، ط6، 1417هــ-1997م، ص119.

(7)- نفس المرجع، ص 123.

(8)-سورة البقرة ، الآية 85.

(9)-سورة الأحزاب، الآية 06.

(10)-AKOUN (A) . ANSART(P) . Dictionnaire le Robert de sociologie. Edition du seuil, paris 1999, p275.

(11)-BOUDON(R) et al. Dictionnaire de sosiologie. Impression realisée par BUSSIERE. France. 2005. P120.

(12)-ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعة، مصـــر، 1999، ص325.

(13)- نفس المرجع، ص326.

(14)-نهى القاطرجي ، الاغتصاب: دراسة تاريخية نفسية اجتماعية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بــيروت، ط1، 1423ه-2003م. ، ص ص 343-344.

(15)- محمد الجوهري، دراسات أنثروبولوجية معاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص51.

(16) – Levi- Strauss (C) . Anthropologie structurale . Edition Pocket. Bussiere groupe CPI.Paris. 2002. Pp105-106.

(17) –A.J.UHLMANN.The sociobiological analysis of incest avoidance :the state of play and directions for future research.master of arts . dept of prehistory and anthropology.the ustralian national university.february 1992.p9.(N.THORNHILL « .the evolutinary signifiance of incest rules ».ethology and sociobiology.11:113-129)

(18)- Raoul et Laura Levi Makarius. "Essai sur l'origine de l'exogamie et de la peur de l'inceste". Un article publié dans la revue L'Année sociologique, 3e série, 1955-1956, pp. 173-230 . Paris : Les Presses universitaires de France. édition électronique. réalisée par Jean-Marie Tremblay, bénévole, professeur de sociologie au Cégep de Chicoutimi. Québec, Canada .23 juillet 2006.p11.

(19)-إدوارد واسترمارك ،موسوعة تاريخ الزواج، الإباحية الجنسية البدائية، الجاذبية الجنسية والغيرة الذكرية، كيفية الحصول على زوجة أو زوج، دراسة أنتروبولوجية، تر: مصباح الصمد، صلاح صالح، هدى رطل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشـــر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هــ- 2001م ص 12.

(20) -B.LE CLEF. « L'inceste, Monsieur, êtes-vous sûr qu'il soit vraiment interdit ... ? » . Santé conjuguée . FRANCE. juillet 2006 - n° 37.p16.

(21) –IBID.P8.

(22)-AMBROSIO (G) .on incest psychoanalytic perspectives. Karnac books. 2005. Pp19-20-21.

(23) – A.P.WOLF and W.H.DURHAM.Inbreeding,incest,and the incest taboo.the state of knowledge at the turn of the century.Stanford university press.California.2005.P38

(24) - D. Lieberman, J. Tooby, and L. Cosmides. The evolution of human incest avoidance mechanisms : an evolutionary psychological approach. Final Version. Westermarck Volume. University of California. October 19, 2000.p4.

(25) – A.P.WOLF and W.H.DURHAM.OP.CIT.P41.

(26) IBID–.P2.

(27)–IBID.P2(see:leslie.white."the definition and prohibition of incest"American anthropologist. vol50.part1(1948).p417.

(28) –IBID.P2

(29) -ibid.pp1,2.

(30)- Ambrosio (G) . op.cit. p19.

(31) -إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي، بيروت، ط1، 2003 ص 36.

(32) – A .P.WOLF & w .H.DURHAM.OP.CIT .p45.(see:S.M.BEMISS."report on influence of consanguinity upon offspring".transactions of the American medical association.vol11(1858).pp319-425).

(33) –IBID.P25.

(34)-في ربيع 1956 اجتمع سبعة باحثين في جامعة ستانفورد في مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية من أجل النظر في مشكلة أصول طابو زنا المحارم ،وعندما اجتمعوا كان يظهر أن موقفهم من زواج الأقارب بأنه ليس ضارا بالضرورة ،لكنهم نشروا نتائج مداولاتهم عام 1963،وقد غيروا رأيهم بسبب "معلومات جديدة"ظهرت بعد حجتهم في 1956،والمعلومة مفادها أنهم وجدوا أن نسبة الجينات المتنحية الضارة مرتفعة بشكل انتقائي مفارنة مع الجينات المفيدة في زواج الأقارب ،كما أن نسبة الأفراد المتماثلين المستقبلين للجينات القاتلة أو الضارة يرتفع بشدة كلما زادت درجة القرابة ،هذا أدى إلى نشر استنتاج مفاده "أن المزايا البيولوجية الناتجة من سفاح القربى العائلي لايمكن تجاهلها "و"زواج الأقارب عند الحيوان مثل الانسان لديه عيوب واضحة ،لكن هذه العيوب تكون أكثر وضوحا في الزواجات الأولية منها في الزواجات الأخرى ،ولم يكن هذا الاجتماع الأخير في الجامعة بل إن كتاب وولف وديرهام هو ثمار مؤتمر عقد في جامعة ستانفورد 24-25فيفري 2000 من سلسلة المؤتمرات التي عقدتها كلية العلوم الانسانية ،وكان موضوع هذا المؤتمر :العلاقة بين البيولوجيا والثقافة ولا نقطة أهم في هذه العلاقة من زنا المحـــارم وزواج الأقارب ،وضم مجموعة من علماء الاجتماع وعلماء البيولوجيا .(وولف وديرهام ،مرجع سابق ،صص3،2،1)

(35)–IBID.10.

(36)-Akoun (A) et al. Op.cit. p273.

(37)-إدوارد واسترمارك، مرجع ساق، ص203.

(38)-نفس المرجع،ص205.

(39)- نفس المرجع، ص ص 205، 206.

(40) –L.H.MORGAN.Ancient society;or researches in the lines of human progress from savagery through barbarism to civilization.first Indian edition.bharti library .1944.p324.

(41) - Freud (S) .). Totem et Tabou. Petite bibliothéque payot. Paris. Edition payot et rivages. 2001. p11.

(42)- IBID. P11

(43) -IBID. P12.

(44) -IBID. PP14-15.

(45) -IBID. PP15-16.

(46)-IBID. P.18

(47)-IBID. P22.

(48)-IBID. P23.

(49) -IBID. P24.

(50) -IBID. P28.

(51) -IBID. P30.

(52) -IBID. PP31-32.

(53) -IBID. PPp32-33-34.

(54)- رولان دورون، فرانسواز يارو، موسوعة علم النفس، المجلد الثاني، f.p، دار عويدات للنشر والطباعـــة ، بـــيروت، ط1، 1997، ص573.

(55) -A.P.WOLF and W.H.DURHAM.OP.CIT.P2.

(56)-إدوارد واسترمارك، مرجع سابق، ص634.

(57)-نفس المرجع، ص ص634-635.

(58) -نفس المرجع، ص 652.

(59)-نفس المرجع، ص 656.

(60) -نفس المرجع، ص 657.

(61)-نفس المرجع، ص 668.

(62)- نفس المرجع، ص 669.

(63)-نفس المرجع، ص 670.

(64)-A .P.WOLF & w .H.DURHAM.OP.CIT.P4.

(65) -IBID.P05.(see :J.G.FRAZER.Totemism and exogamy(London,1910,vol4.pp97,98)

(66)-عبد الوهاب جعفر،البنيوية في الأنثربولوجيا وموقف سارتر منها،دار المعارف،مصر،1980،ص20.

(67)-حسين فهيم،قصة الأنثربولوجيا ،فصول في تاريخ علم الانسان،المجلس الوطني للثقافة والفنون ،الكويت، فيفري،1986،ص129.

(68)- MALINOWSKI. (B). La sexualité et sa répression dans les sociétés primitives. Petite bibliothéque Payot. Paris. S.D. pp15-16.

(69)-IBID. PP16-17.

(70)- MUESTERBERGER. (W).L'anthropologie psychanalytique depuis « Totem et tabou ». Collection science de l'homme. Payot. Paris. 1976. P271.

(71) -IBID. P272.

(72) -Malinowski. (B). op.cit. p154.

(73) -IBID. PP201-202.

(74)-تشارلس داروين ،أصل الأنواع ،تر:مجدي محمود المليجي ،تقديم:سمير حنا صادق،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة، ط4، 2004،ص397.

(75) -malinoweski. Op.cit .P207.

(76) –IBID. P208.

(77) – A .P.WOLF & w .H.DURHAM.OP.CIT .p24

(78)– Émile Durkheim. “ Formes élémentaires de l’organisation sociale ”. édition électronique réalisée à partir d'un texte d’Émile Durkheim (1904), « Formes élémentaires de l’organisation sociale. » Texte extrait de la revue l’Année sociologique, n° , 1904, pp. 407 à 411. Texte reproduit in Émile Durkheim, Textes. 3. Fonctions sociales et institutions (pp. 271 à 276). Paris: Les Éditions de Minuit, 1975, 570 pages . Édition complétée jeudi, le 17 octobre 2002 à Chicoutimi, Québec.pp 5.6.

(79)–IBID.P6.

(80) – Raoul et Laura Levi Makarius.OP .CIT.PP 08.09.

(81) -DURKHEIM.(E), La prohibition de l’inceste et ses origines Chicoutimi. Québec. Edition éléctronique. 2002. P13.

(82)-IBID. p13.

(83)- IBID. p21.

(84) -IBID. p28.

(85)- IBID. p30.

(86)-IBID. p39.

(87)- IBID. p60.

(88) -IBID. p61.

(89) -IBID. p61.

(90)- IBID. p62.

(91) – Raoul et Laura Levi Makarius.OP.CIT.10.

(92) -رولان دورون، فرانسواز بارو، مرجع سابق، ص 573.

(93) -SIMOUNIS(Y). Claude LEVI-STRAUSS ou la « passion de l’inceste » introduction au structuralisme. Collection recherches économiques et sociales. Aubier- Monaigne. Paris. 1968. P34.

(94) -IBID. PP34-35.

(95)- IBID. P41.

(96)-IBID. P42.

(97)-IBID. P45.

(98)-IBID. PP49-50.

(99) -Simounis.(y) .op.cit. pp71-72.

(100)-HERITIER. (F). Les deux sœurs et leur mère. Anthropologie de l’inceste .Editions Odile jacob.PARIS. 1994.

(101) -D.VASSE.Inceste et jalousie .la question de l’homme .Editions du SEUIL.PARIS .1995.P92.

(102) -IBID.P122.

(103) –IBID.P98.

(104) -IBID.P158.